

التفصير المطول - سورة التوبه 009 - الدرس(70-13) : تفسير الآيات 13 - 15 ، التوبة الخالصة هي سبب لنصر المسلمين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنَا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

نقض العهود يستوجب التأديب :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثالث عشر من دروس سورة التوبه، ومع الآية الثالثة عشرة وهي قوله تعالى:

**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَحْشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشُوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)**

سورة التوبه

أيها الإخوة، يبين الله في هذه الآية أن هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم مع المؤمنين مرات ومرات، نقضت قريش عهدها مع رسول الله فأخرجته، ونقض اليهود عهدهم مع رسول الله فائتمروا على قتلها، وكل الأطراف الأخرى غير المؤمنة من شأنها نقض العهود والمواثيق، لذلك قال تعالى لهؤلاء: أنتم قدمتم لهم كل سبل السلام، قدمتم لهم عهداً، لكنهم نقضوا هذه العهود، نقض هذه العهود يستوجب التأديب، المؤمن قوي، والمؤمن له أظافر، والمؤمن ينبغي أن يُرْهَب جانبه، لكن نحن في وضع استثنائي عشنا في عصر أعلنت فيه حرب عالمية على المسلمين، وكل أطراف الدنيا تهاجم الإسلام، هذا الهجوم المستمر، وهذا الاتهام المستمر، بالتخلف، والعنف، والإرهاب، أورث المسلمين الشعور بالنقص، فصدقوا هذه التهم، لكن الله -عز وجل- يقول: هؤلاء نقضوا عهودهم معكم، هؤلاء لا عهد لهم، هؤلاء نقضوا موايثيهم، هؤلاء لا يرعون في مؤمن:

**لَا يَرْجِعُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)**

سورة التوبه

لذلك يقول الله -عز وجل-:

**﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾** نحن تصورنا أن المؤمن دائمًا ضعيف، دائمًا يعبر عن السلام، والمحبة، واللوئام، وأنه لا يتدخل بشأن الآخرين، هذه الثقافة جاءتنا من شدة الهجوم الذي انهال على المسلمين، لكن الحقيقة أن المؤمن قوي، والمؤمن عزيز، والمؤمن يكفيه عزًا أن الله معه، لأن الله لا يحبنا أن نستخزي، أن نتطاول، أن نخضع، ورد في بعض الآثار:

**(( من جلس إلى غني فقضى نصف دينه ))**

[البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود بسنده ضعيف]

دائمًا الإسلام سلم، الإسلام محبة، كلام طيب، لكن دائمًا سلم ومحبة، والطرف الآخر يتقنن في حربنا، وفي قهرنا، وفي قتل شبابنا، وفي احتلال أرضنا، وفي نهب ثرواتنا، والإسلام محبة ومحبة وسلام وأنس؟ لا، لابد من قوة ظهرها، لا بد من عزة نعتر بها، لأن الله -عز وجل- يشير بنا العزة فيقول: **﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾**.

### العصر الآن عصر الانحياز إلى الباطل :

الأقوياء اليوم يضربون، يحتلون، يقبحون على المقاتلين، يحاكمونهم، هم أحرار فيما يفعلون، والمسلم إذا وقع في أسره جندي واحد تقوم الدنيا ولا ترتد، ولنا عند أعدائنا أكثر من أحد عشر ألف أسيراً، ولا أحد يتكلم، قبضنا على أسير واحد الدنيا كلها قامت، نحن في عصر الانحياز إلى الباطل، هؤلاء الذين يؤسرون لا أحد يسأل عنهم، أما أسير واحد من العدو يُدمّر لبنان من أجله؟ تُدمر البنية التحتية من أجله؟

فذلك ليس هناك منطق، الذي يحاول أن يصيغ مفاعلاً سلماً تقوم عليه الدنيا ولا ترتد، ويُحاصر، وتجري عليه حرب حصار اقتصادية، أما الذي قصف سفناً تحمل مؤنًا لشعب محاصر، ولا يوجد أي اتجاه قتالي لا أحد يتكلم، ولا أحد ينتقد، ولا أحد يندد، هذه مشكلة، لذلك قال تعالى:

**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَتَؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلِ مِنَ الْغَيْظِ فُلُّ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)**

سورة آل عمران

كان المسلم ليس له حق، جاءنا رئيس أمريكي ليزور المنطقة، ببرنامجه: دمشق، تل أبيب، رام الله، زيارة أسرة الأسير الإسرائيلي، ولنا عندهم أحد عشر ألفاً وثمانمائة أسيراً، ولم يخطر في باله أن يزور أسرة واحدة من أسر المسلمين.

لذلك أقول هذا الكلام كثيراً كي تتذمروا من أذهانكم أنهم يحبونكم **﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ﴾**.

### المؤمن لا يخشى إلا الله لأنه قوي :

لذلك: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثُوا أَيْمَانَهُم﴾ طبعاً سياق الآيات عن كفار قريش، وعن يهود المدينة ﴿نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوْلَى مَرَّةً﴾ هم البدائيون والبادئ أظلم، ﴿أَتَخْشَوْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المؤمن لا يخشى إلا الله لأنه القوي، لا يخشى قوة دون قوة الله، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ بل يقرأ قوله تعالى فيطمئن:

فَلَمَّا فَصَلَ طَلْوُتٌ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاءَرَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَلُوتٍ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

سورة البقرة

إذاً: أي توجه إلى الخضوع بداعي أننا لا نملك أسلحة الطرف الآخر هذا ضعف إيمان.

**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)**

سورة آل عمران

ومرة ثانية، وثالثة، ورابعة: إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟.

**بطولة الإنسان أن يقدم له أسباب النصر كي ينتصر :**

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثُوا أَيْمَانَهُم﴾ أي يا عبادي! أنا معكم، لأن الله - سبحانه وتعالى - في التاريخ المعاصر أعطانا جرعة منعشة، كيف أن إخوتنا في غزة هم عشرة آلاف وقفوا لاثنين وعشرين يوماً أمام أقوى جيش في المنطقة، دون أن يستطيع هذا الجيش تحقيق أي هدف، هذه جرعة منعشة، لأن الله يقول لنا: أنا موجود يا عبادي، ووعدي هو هو، وعدني لكم بالنصر هو هو، فالبطولة أن تقدموا لله أسباب النصر، والأية الكريمة:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِيَنُهُمُ الَّذِي ارْتَصَى لَهُمْ وَلَيَبْدِلَهُمْ مِنْ بَعْدِ حُوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

سورة النور

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، هذه الآيات ينبغي أن ترفع معنوياتنا.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)

سورة الروم

**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ (51)**

سورة الغافر

**وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)**

سورة الصافات

ومرة ثانية: زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده للمؤمنين.

**المؤمن ما لم يكن مستقيماً على أمر الله فلن يثق بنفسه أبداً :**

لذلك: **﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثَوْا أَيْمَانَهُمْ﴾** الآن الحساب حساب مادي، يقول لك: عندهم أسلحة متطرفة، عندهم سلاح طيران متقوّق، عندهم قنابل جرثومية، وقنابل عنقودية، وقنابل ذكية، وقنابل حارقة، وقنابل خارقة، وعندهم إستراتيجية في الحرب متتفوقة جداً، هذا كلام لا يقاس في عالم الإيمان، لأن الله مع المؤمنين، معهم بالنصر والتأييد، وإذا كان الله معنا فمن علينا؟ وإذا كان علينا فمن معنا؟.

لكن أيها الإخوة، لماذا لا تجد الناس يعيّدون كثيراً بهذه المعاني؟ لأن المؤمن ما لم يكن مستقيماً على أمر الله لا يستطيع أن يعتمد على هذه الآيات، لا يثق بنفسه أبداً، إذا كنت مستقيماً على أمر الله، مصطلحاً مع الله، وتقرأ هذه الآيات، تتوكّل حقاً على الله، تثق حقاً بنصر الله، تتفاعل لا تتشاءم، لكن ضعف الإيمان يسبب عدم الإمكان أن تعتمد على هذه الوعود من الله لعدم ثقتك بنفسك.

**﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكْثَوْا أَيْمَانَهُمْ﴾** طبعاً الآيات موجهة لأصحاب رسول الله، لكن القرآن حمال أوجه، القرآن لكل المؤمنين، لكل أهل الإيمان إلى نهاية الدوران.

**شروط النصر :**

إخواننا الكرام، بشكل أو بآخر النصر له قانون، أحد شروط هذا القانون أن تكون مؤمناً لقوله تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أن تكون مؤمناً كما يريد الله -عز وجل-، أي إيمان ينصره الله -عز وجل-؟ الإيمان الذي ينقلب إلى سلوك، إلى طاعة، إلى التزام، إلى أن تكون وقاً عند حدود الله، إلى أن تأتمر بما أمر الله، إلى أن تنتهي عما عنه نهى وجزر، هذا الإيمان الذي ينقلك إلى الحركة، إلى الالتزام، إلى أن تكف عما نهاك الله عنه، إلى أن تتعلّم ما أمرك الله به، هذا الإيمان أحد أكبر أسباب النصر، لكن المشكلة أن كل مسلم على وجه الأرض يدّعى أنه مؤمن وهو ليس كذلك، بدليل أنه لا يستقيم على أمر الله، كلمة إيمان في الأصل إنسان عرف الله، فإذا عرفه أطاعه، ومن أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تحبه ثم لا تطيعه، ومن لوازم الإيمان الطاعة.

أما حالة الآن ظاهرة مليار وخمسين مليون مسلم يحتلون أبرز منطقة في العالم، مليئة بالثروات، ومع ذلك الشعوب الإسلامية هم أضعف شعوب الأرض وأفقرها، بسبب ضعف إيمانهم، وضعف ثقتهم بيديهم، وضعف ثقتهم بوعود ربهم، بسبب ضعف استقامتهم، هذا الواقع.

## الإنسان إذا قدم أسباب النصر انتصر ولو كان عدوه قوياً :

لذلك أنت إذا قدمت لله أسباب النصر انتصرت ولو كان عدوك قوياً، لأن الله أقوى منه، الله - عز وجل - فوق كل خلق فيها، فوق كل قوي، وأقوى الأقوية بيده، والآية الدقيقة:

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبَّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ (56)

سورة هود

يعني كل القوى المخيفة في الأرض بيد الله، وأنت علاقتك ليست مع هذه القوى، علاقتك مع من يملكها، إنه الله، فإذا اصطاحت معه أبعدها عنك، وإذا قصرت في طاعته سمح لأحدوها أن تقترب منك، هذه القصة كلها.

فلذلك أيها الإخوة، الله - عز وجل - يدفعنا إلى أن نؤمن به الإيمان الذي يحمل على طاعته، فإذا آمنا بالإيمان الذي يحمل على طاعته عندئذٍ نعتمد على هذه الوعود من الله ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قريش بدأت في معارك بدر، وأحد، والخندق، واليهود بدؤوا بينما نقضوا عهودهم مع رسول الله ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً أَتَحْشُوْنَهُمْ﴾.

## من كان مع الله كان الله معه :

أحياناً تقيم موازنة بين قوتكم وقوه الأعداء، والأعداء أقوىاء جداً، والآن العالم الغربي يملك طائرات، يملك صواريخ عابرة للقارات، يملك أسلحة جنثومية، يملك أسلحة كيمائية، يملك قنابل حارقة حارقة، يملك قنابل عنقودية، قنابل تمشي على أشعة الليزر، يملك طيران، هذا كله نراه ونسمع به، ولكن الله معك، وإذا كان الله معك فمن عليك؟.

قد يسأل إنسان هذا السؤال: ثلاثون دولة من حلف الناتو في أفغانستان، و84% من أرض أفغانستان بيد المقاومين، هذه الدول الثلاثون أين هي؟ كيف أن هؤلاء يملكون بندقية فقط -المقاومون- وبيدهم 84% من مساحة أفغانستان، وفي العراق الشيء نفسه، المقاومة قوية جداً، معنى ذلك إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟.

الآن هناك موظف كبير بالبنتاجون، قال: ماذا نفعل بحاملات الطائرات والصواريخ العابرة للقارات ماذا نفعل بهذه؟ لأنه ما من دولة على وجه الأرض تجرؤ أن تحاربنا، ولكن ماذا نفعل بهذا الإنسان الذي جاء ليموت فيهز كياننا؟ هذا ليس له حل؟ صار هناك رد على هذه القوى الكبيرة بالمقاومة، وترون أن هذه المقاومة ولاسيما الإسلامية تركت أثراً كبيراً جداً في العالم، فكان الله - سبحانه وتعالى - بهذه الآية لا يريدها أن تكون ضعافاً، ولا أن نرهب الأقوية، ولا أن نخاهم، ولا أن نبتعد عن التفكير في محاربتهم ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾.

## الجرعات المنعشة التي قدمها الله عز وجل للمؤمنين في هذه الأيام :

ولدينا هذا العدو الصهيوني أنا أشبهه بالعصا الغليظة للغرب، مهمة هذا الكيان أنه عصا غليظة، أي بلد في الشرق الأوسط قال: لا للغرب، هذه العصا تسحقه، أليس كذلك؟ لكن هذه العصا والفضل لله كسرت مرتين، مرة في عام 2006 في جنوب لبنان، مرة في عام 2008 في غزة، كسرت، ولا تزال مكسورة، شيء خلاف الخطة، خلاف المتوقع، وكان الله أعطانا درساً بهذه النصرتين أنتي موجود، والأمر بيدي، والوعود التي وعد الله بها المؤمنين هي هي، والإله هو هو:

﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْهُمْ فَإِنَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني عفواً، أصغر دولة في العالم تعد ثلاثة ملايين، لأن معها أقوى دولة في العالم، هذه ترهب ملايين المسلمين أليس كذلك؟ لأنها مع أقوى دولة في العالم، لأن أكبر دولة في العالم تدعمها دعماً بلا حدود، هذه الدولة الصغيرة تواجه وتحدى دول المنطقة كلها، إذاً العبرة بمن معك، فإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟.

﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْهُمْ﴾ وكان الله يعتب علينا.

﴿أَتَخْشَوْهُمْ فَإِنَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سيدنا خالد واجه آسيا ثلاثة ألف مقاتل، وكان جيشه ثلاثين ألفاً، فطلب من الصديق النجدة، طلب منه خمسين ألف مقاتل، بعد حين أرسل له المدد سيدنا الصديق، المفاجأة أنه واحد هو القعقاع بن عمرو، فلما وصل القعقاع بن عمرو إلى سيدنا خالد قال له: أين المدد؟ قال له: أنا، قال له: أنت؟! طلب خمسين ألفاً فأرسل له واحد!! وكان مع القعقاع كتاباً من سيدنا الصديق، في هذا الكتاب: يا خالد! والذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم، وانتصروا، ثلثون ألفاً مع القعقاع واجهوا ثلاثة ألف.

## عدم انتصار الإنسان على عدوه إلا بطاعته لله و بمعصية عدوه لله :

القضية بالإيمان إذا كان الله معك انتهى كل شيء، وكل بطولتك أن يكون الله معك، ويكون الله معك بالطاعة، يكون الله معك بطاعتك لله، ولا تنتصر على العدو الأقوى منك إلا بطاعتك لله، وبمعصية عدوك لله، فإذا عصيت الله استويت معه في المعصية فانتصر عليك بقوته، هذا كلام نهائي، والله -عز وجل- يقول:

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُحْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14)

سورة التوبة

لا تخشونهم، هذه الآيات يحتاجها المسلمون في مواجهة أعدائهم، تحتاجها الأمة العربية في مواجهة العدو الصهيوني، والله هناك قصص من البطولات التي ظهرت في حرب غزة تكاد لا تصدق، ألقى الله الهيبة في قلوب المقاتلين، عشرة آلاف مقاتلًا! شباب معهم بندقيات فقط واجهوا جيشاً يعد رابع جيش في العالم، يعد أول جيش في المنطقة، يعد أول جيش في تنوع الأسلحة، واجهوا هذا الجيش لاثنين وعشرين يوماً، ولم يحقق هذا الجيش أي هدف من أهدافه، أين الله؟ هذا الله -عز وجل-، الله موجود، وأنا أعدّ هذا النصر جرعة منعشه لنا، يجب أن تثق بالله، إله يقول لك: أنا معك، وإذا كنت معك فمن عليك؟

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِرُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ كم هدف؟ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ هذه الهزيمة النفسية، عندنا جيش يهزم في ساحة المعركة وعندنا جيش فضلاً عن هزيمته في ساحة المعركة يهزم نفسياً ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِرُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

#### بنود قانون النصر :

##### 1. الإيمان بالله :

لكن اسمحوا لي أيها الإخوة أن أبين لكم أن للنصر قانوناً، أول بنود قانون النصر أن تكون مؤمناً بالإيمان الذي يريد الله -عز وجل-، ما الإيمان الذي يريد الله -عز وجل-؟ هو أن تكون مؤمناً مطبيقاً، أن يترجم إيمانك إلى التزام، إلى طاعة، إلى أن تأخذ ما لك، وأن تدع ما ليس لك، إلى أن تطيع الله في سرائك وضرائك، في خلوتك وجلوتك، إلى أن تسعى بنشر هذا الدين، فإذا كان الله معك فمن عليك؟ أول شيء الإيمان الذي يترجم إلى استقامة، أما هناك إيمان لا يترجم إلى استقامة فلا يقدم ولا يؤخر إطلاقاً.

بصراحة المسلمين يعدون الآن مليار وخمسين مليوناً، هؤلاء المسلمين يعدون ربع سكان الأرض، وعندهم ثروات طائلة، ويقيمون على أرض تعد أرقى أرض في العالم، ومع ذلك ليست كلمتهم هي العليا، وليس أمرهم بيدهم، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل، السبب: عدم الطاعة **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾**

##### 2 . إعداد العدة المتاحة :

الآن هذا الشرط الأول، وهو الإيمان الذي يحمل على طاعة الواحد الديان، الشرط الثاني: أن نعد لأعدائنا ما نستطيع.

**وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ  
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُتَفَقُّوْا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)**

سورة الأنفال

الله -عز وجل- ما طالبنا أن نعد القوة المكافحة، طالبنا أن نعد القوة المتاحة **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** والله يرمي الباقى، إله، كلام خالق السماوات والأرض، أكبر مشكلة نعاني منها أن عدواً قوياً مدعوماً من دول الغرب، يتربص بنا، ويحاول أن يشتت جمعنا، وأن يفرق وحدتنا، وأن يأخذ أرضنا، وأن ينهب ثرواتنا، هذا العدو علاجه الوحيد أن نؤمن بالله أولاً إيماناً يحمل على طاعته، وأن نقاومه، وكما ترون أبناء المقاومة إن في العراق، أو في فلسطين، أو في أفغانستان، قدمت صوراً رائعة جداً، وكأن عقيدة الحرب تغيرت بعد نتائج هذه المقاومة، ما قيمة الجيوش الكبيرة؟.

مرة قلت لكم: موظف كبير بالبنغازي يقول: ماذا نفعل بحاملات الطائرات وليس هناك دولة على وجه الأرض تجرؤ أن تحاربنا؟ لكن ماذا نفعل بهذا الإنسان الذي جاء ليقاتلنا؟ جاء لموت من أجل أن يهز كياننا، لذلك الحل مع الجيش القوي المقاومة، قال تعالى: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِإِيْدِيهِمْ وَيُخْزِهِمْ﴾** يعني تتصرفون على عدوكم انتصاراً مادياً، وانتصاراً معنوياً **﴿وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾**.

### المؤمن مع كل من آمن بالله في الأرض :

بربكم أخبار انتصار إخوتنا في حرب غزة ألم يثليج صدور المسلمين جميعاً؟ انتصار إخوتنا في جنوب لبنان ألم يثليج صدور إخوتنا جميعاً؟ هذا شيء طبيعي جداً، بل إن الله -سبحانه وتعالى- أثبت للصحابية الكرام فرحيهم بانتصار الروم، مع أن هناك أشياء خلافية بيننا وبينهم، قال تعالى:

**غُلَبْتِ الرُّومُ (2) فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَخُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْتَصِرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)**

سورة الروم

الصحابية الكرام فرحوا بانتصار الروم مع أنهم أهل كتاب لما بيننا وبينهم من قواسم مشتركة، بشكل عام المؤمن مع كل من آمن بالله في الأرض، يتعاطف معه، لكنه ليس مع الملحد، مع الكافر، مع الفاسق **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِإِيْدِيهِمْ﴾** أي الله -عز وجل- قادر أن يعذبهم من عنده بعذابه، عنده صواعق، عنده براكين، عنده زلزال، عنده موت معين، عنده وباء معين، لكن الله أراد أن يكسبنا أجراً في القتال،

**فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرِبُوا الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا نَتَصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْلَوْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضْلَلَ أَعْمَالَهُمْ (4)**

هذا الذي يريد الله - عز وجل - ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾

### تالي النكبات على أمتنا في هذا العصر أورثت نكبات مؤلمة جداً :

أنتم تلاحظون لو أن هناك عملاً إسلامياً عسكرياً حقاً كبيراً، تجد المسلمين في العالم يفرجون، ينتشرون ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ هذا فرح كبير، أنت لك أهداف خاصة، لك بيت، لك مركبة، لك أولاد، لك دخل، لكن أنت إنسان تعيش في مجتمع، وهذا المجموع إذا ارتقى تسعد بهذا الرقي، وإذا لم يرتقِ تتألم.

عفواً تالي النكبات على أمتنا في هذا العصر أورثت ثقافة مؤلمة جداً، أنا أسميها ثقافة اليأس، أو ثقافة الإحباط، أو ثقافة الطريق المسدود، لكن لما رأينا ومضات من النصر؛ انتصار إخوتنا في جنوب لبنان، في غزة، المقاومة في أفغانستان، في العراق، هذه الومضات أعطتنا راحة نفسية، هذه الراحة تبين أن المؤمن يفرح فرحاً كبيراً بنصر الله ﴿وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

**وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوَبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)**

لأنه خلقنا، وهو إلينا، ويعلم من خلق، المؤمن يسعد النصر، وتؤلمه الهزيمة، لذلك عندما تنتالى الهزائم تنشأ حالة يأس أو حالة إحباط عند الأمة، وهذه حالة خطيرة جداً.

### هزيمة المسلمين من الداخل أخطر شيء في حياتهم :

لذلك أنا أقول دائماً: أخطر شيء أن يهزم المسلمون من الداخل، من داخل نفوسهم، أما آية هزيمة طارئة من الخارج قد تنتهي بانتصار مبين، أما الهزيمة من الداخل هذه خطيرة جداً، هذه تصيب الأمة بالإحباط ﴿وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوَبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ودائماً وأبداً الله - جل جلاله - يريدنا أن ننقاعل، فإذا تبت إلى الله توبة نصوحه الله - سبحانه وتعالى - ينسيك الماضي كله.

إذا رجع العبد على الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنثوا فلاناً فقد اصطلاح مع الله ، هناك وعود إلهية بالقرآن الكريم لكل مؤمن، والذي أتمنى إيضاً أنه لكم أن هذا الدين دين أفراد ودين جماعات في الوقت نفسه، الأمة إذا طبقته انتصرت على عدوها ولو كان قوياً، لكن لو أن الأمة لم تطبق هذا الدين، إذاً لم تنتصر، أنت كفرد ماذا تعمل؟ أنت أيها الفرد المسلم لو طبقت أحكام هذا الدين وحدك لانتصرت، ولقطفت كل ثماره لوحدك.

إما أن يكون هناك نصر جماعي إذا طُبق هذا الدين من قبل جماعة الأمة، أو نصر فردي ينالك وحده إذا اصطلحت مع الله، فأنت حاول أن يكون هذا الدين لكل الأمة، فإن لم تستطع فلا أقل من أن تكون أنت مؤمناً صادقاً حتى تنتظر من الله العطاء.

### التوبة علم وحال وعمل :

﴿وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ معنى ذلك أن الهزيمة مؤلمة جداً، ينشأ منها غيظ في القلب، والنصر يعطي القلب شفاءً ﴿وَيُشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ \* وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ تعود على الإنسان، أي إنسان شاء التوبة، وقدم أسبابها هي: العلم، والندم، والإقلاع، أو التوبة علم، وحال، وعمل، إذا قرأت عن هذا الدين العظيم، إذا طلبت العلم عرفت أين ذنبك، وأين خطأك، فالعلم طريق التوبة، والندم الحال النفسي الذي يرافق العلم، والإقلاع هو النتيجة، أن تقلع عن هذا الذنب إقلاعاً كلياً، فال்�توبة: علم، وحال، وعمل ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ تعلم، تندم، تقلع ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أيها الإخوة، عجيب الأمر كلما قرأتنا بعض الآيات جاء الباب بباب الخلاص، وهو التوبة، لاحظتم في هذه السورة أن كل مجموعة آيات تحوم حول موضوع ينتهي هذا الموضوع بفتح باب التوبة مهما تكن، هناك شرك، هناك كفر - لا سمح الله - هناك معصية هناك نفاق ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليقبل توبتنا، وما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لدعائنا، فلذلك:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ علمه بتوبتك الصادقة، وحكمته بقبول هذه التوبة هو سبيل خلاصنا.

والحمد لله رب العالمين.

